ظـــاهرة الجهل بالدين

ا.د/محمد محمد عثمان يوسف (*)

المسألة الأولى: المقصود بالدين:

أولاً : معنى الدين(لغة): يأتي بمعنى الجزاء ، والطاعة والحساب[1].

ثانياً : معناه فى الاصطلاح : **عرفه العلماء بأنه**: وضع إلهى يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو من عند الرسول ﷺ ، **وعرفه أيضا بأنه** : وضع إلهى سائق لذوى العقول باختيارهم إياه الصلاح فى الحال والفلاح فى المآل [2].

وقيل في تعريفه: هو مجموعة العقائد والعبادات والأحكام والقوانين التى شرعها الله لتنظيم علاقة الناس بربهم، وعلاقاتهم بعضهم ببعض ، وعلاقاتهم بالكون، وعلاقاتهم بالحياة ، وقد شرع الإسلام لإيجاده وإقامته **إيجاب الإيمان وأحكام القواعد الخمس التى بنى عليها الإسلام وهى : شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت** ؛ وسائر العقائد ، وأصول العبادات ، التى قصد الشرع بتشريعها ، وإقامة الدين وتثبيته فى القلوب باتباع الأحكام التى لا يصلح الناس إلا بها [3] .

وعلى ذلك يكون المقصود بالدين هنا : الد ين الحق الصحيح المنزل من رب العالمين ، والخالص من البدع والتحريف لا مطلق الدين ، وأن نخصه بالدين المنزل على محمد ﷺ وهو الدين الإسلامى الحنيف بكون ما عداه منسوخاً لا يجوز العمل به ، ولكونه الدين الذى لا يقبل الله من أحد سواه، ولذلك قال سبحانه﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[4]، وقال سبحانه :﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[5] فالدين لابد منه للإنسان الذى تسمو معانيه الإنسانية عن إدراكه الحيوان، لأن التدين خاصية من خواص الإنسان ، ولابد أن يسلم له من دينه من كل اعتداء ، وقد حمى الإسلام بأحكامه حرية التدين ، **فقال تعالى** : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾[6].

ونهى عن الفتنة فى الدين، واعتبر الفتنة فيه أشد من القتل ، **وقال سبحانه** :﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾[1]، وأنه كان من أجل المحافظة على التدين وحمايته وتحصين النفس بالمعانى الدينية شرعت العبادات كلها ، فهى لتزكية النفس وتنمية روح التدين[2].

المسألة الثانية : وسائل حفظ الدين:

(*) أستاذ بقسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة سوهاج .

(1) ابن منظور : لسان العرب مادة " دين " 13 /171 .

(2) راجع التعريفات للجرجان ص 141 ، التهانوى : كشاف اصطلاح الفنون 2 /305 .

(3) عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه ص 200 .

(4) سورة آل عمران آية85.

(5) سورة آل عمران آية19.

(6) سورة البقرة آية 256.

(1) سورة البقرة آية 191 .

(2) محمد أبو زهرة : أصول الفقه 367 .

أشار الشاطبي إلى وسائل حفظ الدين خ اصة أنها حاصلة فى ثلاث معان وهى : الإسلام، والإيمان، والإحسان فأصلها فى الكتاب وتفصيلها فى السنة ، ومكمله ثلاث أشياء هى: الدعاء إليه بالترغيب والترهيب وجهاد من عانده أو إفساده وتلافى النقصان الطارئ فى أصله[3].

وقال الشاطبى فى وسائل حفظ الدين إنما جاء على الإجمال أن حفظ الدين يكون من جانبين:**

الجانب الأول : من جانب الوجود وذلك بالمحافظة على ما يقيم أركانه ويثبت قواعده ، وذلك يتم بأمور :

الأمر الأول: العمل بالدين :

فإن الله سبحانه وتعالى شرع ال دين ليعمل به ، لأنه اعتقاد وعمل ، والثمرة الم رجوة منه لا تتحقق إلا بالعمل به ؛ إذ أن أى مبدأ من المباد ئ مهما سمت معانيه أقنعت حججه ، وحسنت صياغة نصوصه لا يكون له أثر فعال مادام غير مطبق واقع الحياة، وأن النصوص التى تضمنته لا تنسى ولو أن معانيه تضيع مهما فهمت ، ولكن المبدأ الذى تحفظه فلا تنسى معانيه ولا تضيع وينزل احترامه القلوب ، وه و المبدأ الذى يطبقه أهله عملاً فى واقع الحياة ، فيراهم الناس يتحركون به وتنقله عنهم الأجيال كما هو ، لا يحرف ولا يبدل ؛ لذلك كان حفظ الدين فرضاً على المسلمين لا فى نصوصه فحسب وإنما فى العمل أيضاً [4].

وعلى هذا فالعمل بالدين أمر محتم لابد منه ، فمنه واجب على كل مكلف وهو المعروف عند الأصوليين بـ " **الواجب العينى**" [5] ومنه ما هو واجب على المجتمع ويسقط بفعل البعض وهو المعروف" **بالواجب الكفائى**" [1] والقدر المشترك فى ذلك هو أنه لابد من القيام بالواجب سواء كان القائم به واحداً عن الأمة ، أو كل فرد من الأمة فبالمحا فظة على الواجبات يحفظ الدين لأن هذه الواجبات دعائم الدين وأركانه وأسسه.

وبذلك يكون حفظ الدين واجباً على كل إنسان مكلف ومن أجل هذا أوجب الله على الإنسان إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والحج ، وغير هذا من فرائض الإسلام العينية .

وإن كل مسلم ليعلم أ ثر الدين يطبق فى واقع الحياة وأنه سيعود ذلك التأثير العظيم لهذا الدين الذى كان فى عصر الصحابة ، فى عصر ذلك الجيل القرآنى الفريد[2].

والعمل بالدين له حد أدنى لا يسع أحد تركه وهو القيام بالواجبات وترك المحرمات [3]، وحد أعلى: فعل المندوبات وترك المكروهات.

الأمر الثانى : الحكم بالدين :

يقول الله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[4] سئل عبد العزيز بن يحيى الكنانى عن هذه الآيات، فقال : أنها تقع على جميع ما أنزل الله لا على بعضه ، وكل من لم يحكم بجميع ما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق[5].

وعلى ذلك فالحكم بالدين يحقق حفظه من عدة وجوه.

---

(3) الشاطبى : الموافقات 4 / 27 .

(4) د/ عبد الله بن أحمد القادري : الإسلام وضرورات الحياة ص 31 .

(5) الواجب العينى : هو الذى يوجه فيه الطلب اللازم إلى كل واحد من المكلفين بعينه بحيث إذا تركه أثم ، واستحق الذم ، ككل الفرائض التى يأثم تاركها من الصلاة وزكاة ووفاء بالعقد ، وإعطاء كل ذى حق حقه . محمد أبو زهرة : أصول الفقه ص 35 .

(1) الواجب الكفائى : " هو الفرض الكفائى : وهو الذى يكون فيه تحقيق الفعل من الجماعة ، فإذا وقع الفعل من بعض سقط الآثم عن الباقين " . محمد أبو زهرة : نفسه ص 35 .

(2) سيد قطب : معالم فى الطريق ص 14 .

(3) شيخ الإسلام ابن تيمية : مجموع الفتاوى 28 /186 .

(4) سورة المائدة آية 44 .

(5) تفسير البغوى 276/2 .

الوجه الأول: إن الحاكم به يحفظ الدين فى خاصة نفسه لأن الله عز وجل نفى الإيمان عمن لم يحكم بما أنزل الله ووصفه بضده وهو الكفر، فقال تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾.

الوجه الثانى: أنه يحفظ فى مجتمعه ذلك الحكم بالدين وتطبيق أحكامه يسد الباب على أهل الأهواء المنحرفة والمذاهب الهدامة والأفكار الضالة ويمنعهم من نشر مبادئهم وإظهار أمرهم.

الوجه الثالث: أنه يحفظ الدين فى مجتمعه وذلك بإظهار أحكام الإسلام وشعائره وإقامة حدوده ، وجعله مهيمناً على الحياة كلها ، ومما يتناسب مع طبيعة الدين ومقاصده ، ومن المعلوم ما يحققه ذلك فيحفظ الدين، بترسيخ مفاهيمه فى النفوس ، وتحقيق مقاصده من العدل وتحقيق المصالح ودرء المفاسد.

الوجه الرابع: أن الحكم بالدين وتطبيق أحكامه يسد الباب على أهل الأهواء المنحرفة والمذاهب الهدامة والأفكار الضالة ويمنعهم من نشر مبادئهم وإظهار أمرهم .

الأمر الثالث : الدعوة إلى الدين :

الدعوة إلى الله من أعظم الوسائل وأنفعها لحفظ الدين وبقاء استمراره ، وضمان انتشاره ، وهى وظيفة الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام)، ولا يمكن أن يتصور لأحكامه وآدابه ،وكشف الشبهات عنه.

وقد جاء الأمر بالدعوة إليه فى الكتاب والسنة :

أولاً : فى القرآن الكريم :

قال تعالى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[1].

قال الشوكانى : وفى الآية دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ووجوبه ثابت بالكتاب والسنة وهو من أعظم واجبات الشريعة المطهرة ، وأصل عظيم من أصولها ، وركن مشيد من أركانها ، وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها [1] .

2- وقال تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [2].

فهم خير آمة ما أقاموا على ذلك واتصفوا به ، فإذا تركوا الآمر بالمعروف والنهى عن المنكر زال عنهم ذلك.

3- وقال تعالى: ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [3] .

4- وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [4]

---

(1) سورة آل عمران آية 104 .
(1) الشوكانى : فتح القدير 1 / 369 .
(2) سورة آل عمران آية 110 .
(3) سورة القصص آية 87 .
(4) سورة النحل آية 125 .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[5] .

ثانياً : فى السنة :

قول النبى ﷺ : " بلغوا عنى ولو آية .. " [1] ، فالدعوة إلى الدين تشمل : تعليم الدين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والرد على المخالفين له .

الأمر الرابع : الجهاد فى سبيل الله :

الجهاد فى سبيل الله من وسائل حفظ الدين ، وقد جاءت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة تؤكد ضرورة الجهاد ، وأنه من أهم الوسائل لحفظ الدين :

قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [2]

قال القرطبي: " أى لولا ما شرع الله تعالى إلى الأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء لاستولى أهل الشرك وعطلوا ما نبته أرباب الديانات فى مواضع العبادات ، ولكن دفع بأن أوجب القتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة ، فالجهاد متقدم فى الأمم وبه صلحت الشرائع واجتمعت المتعبدات[3].

كما أمر سبحانه وتعالى بإ عداد العدة ، فقال سبحانه وتعال : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾[4]

قيل: أن المراد بالقوة جميع ما يتقوى به فى الحرب على العدو فكل ما هو آلة يستعان بها فى الجهاد فهو من جملة القوة المأمور باستعدادها ، وقوله ﷺ " إلا أن القوة الرمى " لا ينفى كون الرمى من القوة فهو كقوله ﷺ : " الحج عرفة " وقوله : " الندم توبة " فهذا لا ينفى اعتبار غيره بل يدل على أن هذا المذكور من أفضل المقصود وأجله فكل هذا هنا يحمل معنى الآية على استعداد للقتال فى الحرب وجهاد العدو بجميع ما يمكن من الآلات كالرمى بالنبل والنشاب والسيف والدرع وتعليم الفروسية كل ذلك مأمور به [5] .

وقد أخبر سبحانه وتعالى : أنه فى إعداد العدة إرهاباً وتخويفاً للكافرين والمنافقين ومن لوازم هذا حماية الدين ، لأن خوف الكفار ورهبتهم من المسلمين تمنعهم من أن يمسوا دينهم بأذى ، ونحن نعلم أن الكفار ما تسلطوا على المسلمين واستخفوا بهم إلا حين ترك المسلمون الجهاد فى سبيل الله مصداقاً لقوله ﷺ : " إذا تبايعتم بالعينة وآخذتم بأذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد فى سبيل الله سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه من رقابكم حتى تراجعوا دينكم " [1].

الجانب الثانى : المحافظة على الدين من جانب العدم :

المحافظة على الدين من جانب العدم يكون برد كل ما يخالف الدين من الأقوال والأفعال ، وترك الأقوال الباطلة ، والمعتقدات الفاسدة ، والأفكار المنحرفة .

---

(5) سورة يوسف آية 108 .
(1) أخرجه البخارى – كتاب ا؟لأنبياء حديث "3461 .
(2) سورة الحج آية 40 .
(3) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن 12 / 70 .
(4) سورة الأنفال آية 60 .
(5) تفسير الخازن 2 / 58 .
(1) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده 2 / 42 .

وكان دور العلماء بارزاً فى الوقوف ضد الأفكار المنحرفة والبدع الضالة ، وكل ما خالف الدين بألسنتهم وأقلامهم . إذ أن العلماء هم حراس الشريعة وحماتها الأمناء . وهذا ما قال به الإمام أحمد فيرده على الجهمية : " الحمد لله الذى جعل في كل زمان فترة من الرسل ، وبقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى ، يحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون بنور الله أهل العمى ، وينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، الذين عقدوا ألوية البدع وأطلقوا عقال الفتنة فهم مختلفون فى الكتاب مخالفون له مجمعون على مفارقته " [2] .

أما الصنف الثانى الذى وقف فى وجه الأفكار المنحرفة والبدع الضالة فهم الحُكام : الذين ينفذون أحكام الله فى أهل الأهواء والخارجين عن الهين ، وإنزال العقوبة المناسبة بهم ، إذ أن من أولويات الواجبات على الحاكم المسلم حفظ الدين ، **قال الماوردى** : والذى يلزمه – يعنى الحاكم – من الأمور العامة : حفظ الدين على أصوله المستقرة ، وما أجمع عليه الأئمة ، فإن نجم مبتدع أو زاغ ذو شبه عنه ، واضح له الحجة وبين له الصواب ، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود ليكون الدين محروساً من خلل والأمة ممنوعة من زلل [3] .

المسألة الثالثة : ظاهرة الجهل بالدين :

" المشكلة والحل "

" مقدمة":

تعد ظاهرة الجهل بالدين من أخطر الظواهر الملحوظة فى الآونة الأخيرة ، ومن أكثرها إلحاحاً وحاجة إلى معرفة الأسباب الكامنة وراءها ووضع الحلول المناسبة والكفيلة بالقضاء على تلك الظاهرة أو الحد منها .

إن الكثير من الشباب – ومنهم من تجاوز العقد الثالث من عمره – لا يفقهون مبادئ دينهم ولا يعرفون أبسط الأمور فى العقائد والعبادات ، ولا يعنيهم من أمر دينهم شيئاً ، بل تراهم يعيشون حياة مضطربة يتخبطون فى الجهل والتيه .

ولما كانت المعاصى والموبقات والانحراف والفساد مما يترتب على الجهل بالدين ، كان لازماً التعرض لتلك الظاهرة المتمثلة فى الأمة الدينية عند الشباب ، حتى يرفعوا الجهل عن أنفسهم ويتعلموا أمور دينهم الحنيف ويخدعوا أمتهم ويرضوا ربهم تبارك وتعالى .

وفى هذه الدراسة الموجزة محاولة لسبر أغوار هذه المشكلة للتعرف على أسبابها وكوامنها ووضع الحلول لها .

**** تحذير القرآن من الجهل :**

لقد حذر القرآن الكريم من ذلك الداء العضال أيما تحذير ، فقد جاء على لسان كليم الله عليه السلام : ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [1] .

وقال سيدنا هود عليه السلام : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(ك) وقال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ فلا تكونن من الجاهلين ﴾ [3] .

وإن الشيطان أول ما يلبس على الناس أن يصدهم عن العلم ويأمرهم بالجهل ، لأن العلم نور وإذا أطفأ الشيطان مصابيحنا خبّطنا فى الظلم كيف شاء ، فالعلم نور وإبليس لا يصارع الإنسان فى النور ولكنه يصارع فى الظلام ، وبغرض إبليس من إبعاد الإنسان عن العلم أن يصل

---

(2) الإمام أحمد بن حنبل : الرد على الجهمية ص 85 .
(3) الماوردى : الأحكام السلطانية ص 15 .
(1) البقرة / 67 .
(2) الأعراف / 67 .
(3) الأنعام / 35 .

الإنسان إلى كل شر ، فثمرة الجهل أساس كل ثمرة خبيثة من كفر وفساد وظلم وبغى وعدوان وجزع وقنوط وعجلة وطيش وفحش وبذاءة وشح وبخل .

وقد بين القرآن أن سبب تمسك الناس بالباطل وشراؤهم اللهو هو الجهل وعدم العلم ، فقال تعالى : " ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾[4]

فبعد الناس عن العلم واستحواذ الجهل عليهم سبب للضلال والبعد عن الله والسير فى الطرق المنحرفة سواء فى الاعتقاد أو فى السلوك والأخلاق أو فى التصور وفهم الدين ، وقد قال بعض السلف منشأ جميع الأخلاق السافلة وبناؤها على أربعة أركان : الجهل والظلم والشهوة والغضب ؛ فالجهل الحسن فى صورة القبيح والقبيح فى صورة الحسن أى تنقلب عليه الحقائق وتعمى عليه الأنباء وتختلط عليه الأشياء .

أن خطوة الجهل تكمن فى أن المرء لا يشعر فى كثير من الأحيان كالمرض والعضال الذى يفتك بجسد الإنسان فلا يشعر بذلك المرض إلا وقد تفاقم أمره فأضعف الجسد وأوهنه.

إن الجهل بالحقائق الدنيوية لا يكب الناس علي وجههم فى نار جهنم ، ولكن جهلهم بالحقائق الأخروية وغفلهم عن العلم بأمور دينهم هو الذى يوردهم موارد الهلاك ويبعدهم عن خالقهم سبحانه وتعالى ، ومن هنا تنبه على خطر الجهل بالدين حتى يتذرع الشباب بالعلم النافع والفقه لأمور دينهم ، ولقد نبه القرآن على ذلك ق ائلاً: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾[1]

ويقول صاحب ظلال القرآن – رحمه الله: " وظاهر الحياة الدنيا محدود صغير مهما بدا للناس واسعاً شاملاً يستغرق جهود بعضهم ولا يستقصونه فى حياتهم المحدودة ، والحياة كلها طرف صغير فى هذا الوجود الهائل ، تحكمه نواميس وسنن مس تكنة فى كيان هذا الوجود وتركيبه، والذى لا يتصل قلبه بضمير ذلكم الوجود ، ولا يتصل حسه بالنواميس والسنن التى تصرفه، يظل ينظر وكأنه لا ير ى، ويبصر الشكل الظاهر ، ولكنه لا يدرك حكمته ولا يع يش بها ومعها، وأكثر الناس كذلك؛ لأن الإيمان هو الذى يصل ظاهرة الحياة بأسرار الوجود ، والذين يعلمون هذا العلم قلة فى مجموع الناس، ومن ثم تظل الأكثر مجموعة عن المعرفة الحقيقية " [2].

ويقول ربنا تبارك وتع الى فى محكم التنزيل : " ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [3] فقدم العلم على القول والعمل ، قال العلماء فى ذلك آراء أ ن العلم شرط فى صحة القول والعمل ، وهكذا يبين لنا القرآن أن الجهل بالدين سبب فى عدم قبول الأعمال عند الله تبارك وتعالى.

أن أنواع الجهل هو الجهل بالله تبارك وتعالى ، ولهذا فقد أكد القرآن الكريم على أن الهدف م ن خلق السماوات والأرض هو العلم بالله تعالى يقول الحق سبحانه وتعالى:

" الله الذى خلق سبع سماوات طباقاً ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهم لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شيئاً علما " .

---

(4) لقمان / 6 .
(1) سورة الروم / 6 ، 7 .
(2) فى ظلال القرآن 5 / 480 .
(3) سورة محمد / 19 .

وقال تعالى : " **جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض**" فالهدف من هذه المناسك هو معرفة الله تبارك وتعالى والعلم به وقد حدثنا القرآن المجيد كيف وقع بنوا إسرائيل فى هذا النوع الخطير من الجهل ، فقال تعالى : ﴿ **وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ** ﴾[1].

قال المفسرون : فى هذه الآيات دليل على أن الانحراف عن التوحيد إلى الشرك إنما ينشأ من الجهل وان العلم إنما يقود إلى التوحيد ولا يقود إلى غير ذلك ؛ لأن العلم يواجه الكون بنواميسه التى تشهد بوجود الخالق المدبر وبوجوده تعالى ، وما يغفل عن ذلك إلا الحمقى والجهلاء .

فهؤلاء قوم موسى ، بعد أن أراهم الله تعالى الآيات العجيبة بأعينهم واجتازوا البحر على أقدامهم ، بعد أن أيقنوا بالهلاك ، فقد كان وراءهم فرعون وأمامهم البحر ، فضرب موسى عليه السلام البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود ، وبعد أن رأوا هذه الآية بأعينهم ثم خرجوا فرأوا قوماً يعكفون على أصنام لهم فقالوا يا موسى اجعل لنا إلاها وأصناما نعبدها ... وهكذا الجهل بالله تعالى .

وما ظهور ما يسمون بعبدة الشيطان إلا مظهر من مظاهر الجهل بالله تعالى عند كثير من الشباب فى مجتمعاتنا ؛ إذ أن هؤلاء لو عرفوا الله حقاً وعبدوه لما عبدوا غيره سبحانه وتعالى ، كما أن عبودية المرء لله تعالى لا تصح إلا إذا توجه كلياً إلى الله تعالى ، قال بعض السلف : " ولن تصح لك عبودية ، حتى لا يبقى لغير الله تعالى بقية " ، ولذلك إذا عبد المرء الله حقاً فلا يمكن أن يعبد غير الله .

وقد أكد القرآن على هذه الحقيقة مبيناً فداحة ذلك النوع من الجهل: ﴿ **قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ** ﴾ [2]

المسألة الثالثة : أسباب ظاهرة الجهل بالدين :

إن علاج أى مشكلة فى حياتنا يعتمد على معرفة الأسباب وراءها ، وإذا استطعنا أن نحدد أسباب ظاهرة الجهل بالدين كان ذلك أوعى إلى معرفة حجم المشكلة وكيفية علاجها.

وتتمثل أسباب ظاهرة الجهل بالدين فيما يلى :

أولاً :- ظهور أدعياء العلم الذين يقولون فى دين الله بغير علم.

ثانياً :- عدم الاهتمام بالعلم الشرعى.

ثالثاً :- ترك الأدلة الشرعية " الكتاب والسنة ".

أولاً: ظهور أدعياء العلم :

لقد نشأ فى زماننا من ينسبون أنفسهم إلى العلم ، وكثرت الجرأة على الفتوى والقول فى دين الله بغير علم ، وخاصة من الذين لم يجتمع لهم أبسط قواعد العلم الشرعى ناهيك عن أن يكونوا أهلاً للفتوى .

فأنت ترى فى مجالس الناس جدالاً يحتدم حول مسألة فقهية : هذا يقول : قرآن حكم المسألة على الإنترنت ، وآخر يقول أخبرنى بحكمها فلان ، وثالث يقول : أخبرنى بحكمها فلان عن فلان [1] ونسى هؤلاء أن هناك علماء متخصصين هم أهل الفتوى ، وهم القادرون بما آتاهم الله علم –

---

(1) الأعراف / 138 .
(2) الزمر / 64 .
(1) النساء / 83 .

على استنباط الحكم الشرعى ، يقول الحق تبارك وتعالى : " ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطون منهم " [2] .

يقول الإمام الطبري – شيخ المفسرين : حدثنى المثنى قال ، حدثت إسحاق قال : حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبى العالية فى قوله : " وأولى الأمر " قال : هم أهل العلم [3] .

لقد ضاعت الحقوق بسبب فتوى أدعياء العلم الذين اغتصبوا الفتوى ولووا أعناق النصوص ، يقرأ الواحد منهم جملة كتب ليظن نفسه حاز قصب السبق ونال مرتبة العلماء فتنهاك فتواه ليتلقفها أصحاب النفوس الضعيفة يطعنون بها أول ما يطعنون العلماء الربانيين والدعاة إلى الله .

لقد نسى هؤلاء أن الشريعة هى شريعة الله فهو الذى يوجب فعل الشئ ويحرمه وهو سبحانه – الذى يندب إليه ويحلله ، ولقد أنكر الله تعالى على من يحللون ويحرمون بأهوائهم ، فقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [4] .

ويقول تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [1] .

إن من أكبر الموبقات أن يقول المرء عن شئ أنه حلال وهو لا يدرى حكم الله فيه ، أو يقول المرء عن شئ أنه حرام وهو لا يدرى حكم الله فيه ، ويقول عن الشئ أنه واجب وهو لا يدرى ان الله لم يوجبه .

أن هذا جناية وسوء أدب مع الله ﷻ ، فكيف يعلم المرء أن الحكم لله ثم يتقدم بين يديه ويقول فى دينه وشريعته ما لا يعلم !!

لقد قرن الله تبارك وتعالى القول عليهبالعلم بالشرك به فقال ﷻ ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [2] .

إن كثيراً من العامة يفتى بعضهم البعض بما لا يعلمون فتجدهم يقولون هذا حلال وهذا حرام أو واجب وغير واجب وهو لا يدرى عن ذلك شيئاً وليس معه دليل من كتاب أو سنة .. أفلا يعلم هؤلاء أن الله سائلهم عما يقولون يوم القيامة عن ذلك ؟ أفلا يعلم أنه إذا أضل ش خصاً فأحل له ما حرم الله أو حرمه ما أحل الله له فقد باء بإثمه وكان عليه مثل وزر ما عمله من إثم بسبب فتواه ؟ والبعض إذا رأى شخصاً يريد أن يستفتى عالماً يقول له : ما حاجتك فى أن تستفتى هذا واضح .. وهذا حرام ومع أنه فى الحقيقة حلال فيحرمه ما أحل الله له أو يق ول هذا واجب فيلزمه بما لم يلزمه الله تعالى به أو يقول هذا حلال وهو فى الواقع حرام فيوقعه فيما حرم الله عليه وهذا جناية منه على شريعة الله وخيانة لأخيه المسلم حيث غره بدون علم .

---

(2) تفسير الطبري / 8 / 501.
(3) مؤسسة الرسالة ، ط1) .
(4) سورة يونس / 59- 60.
(1) سورة النحل / 116 – 117.
(2) سورة الأعراف / 33.

ولو أن شخصاً سأل عن طريق بلد من البلدان فقلت له إن الطريق من هنا وأنت لا تع لم لعد ذلك منك خيانة وتغريراً ، ولحمل الناس عليك وشنعوا ، فكيف تتكلم عن طريق الجنة والنار وهو الشريعة التى أنزل الله ، وأنت لا تعلم عنها شيئاً .

وأن بعض المتعلمين يقعون فيما يقع فيه العامة من الجرأة على الشريعة فى التحليل والتحريم والإيجاب فيتكلمون فيم ا لا يعلمون ويجملون فى الشريعة ويفصلون وهم من أجهل الناس فى أحكام الله .. إذا سمعت الواحد منهم يتكلم فكانا ينزل عليه الوحى من جزمه فيما يقول وعدم تورعه .. وهذا المتعلم أضر على الناس من العامة ، لأن الناس ربما يثقون بقوله ويفترون به ، وليت هؤلاء يقتصرون على نسبة الأمر إليهم ، بل تراهم ينسبون ذلك للإسلام ، فيقولون : الإسلام يقول كذا ، الإسلام يرى كذا ، مع أن ذلك لا يجوز قوله إلا بالمعرفة بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ أو إجماع المسلمين عليه .

إن بعض الناس لجرأته وعدم ورعه يقول عن الشئ المحرم الواضح التحريم : ما أظن هذا حراماً أو عن الشئ الواضح وجوبه : ما أظن هذا واجباً إما جهلاً منه أو مكابرة أو تشكيكاً للناس فى ذلك .

إن من الإيمان والعقل وتقوى الله وتعظيمه أن يقول المرء عما لا يعلم : لا أعلم ؛ فإن ذلك من تمام العقل ؛ لأن الناس إذا رأوا تثبته فى تحرى الدليل وا لصواب وتحرزه عن القول بدون علم وثقوا به من تمام الإيمان بالله وتقواه حيث لا يتقدم بين يدى ربه ولا يقول عليه ما لا يعلم.

لقد كان إمام العلماء ﷺ يسأل عما لم ينزل عليه فيه الوحى فينظر ﷺ حتى ينزل عليه الوحى فيجيب الله ﷻ عما سئل عنه نبيه :﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ [1]، وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ (ك) ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [3] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [4].

ولقد كان الإجلاء من الصحابة تعرض عليهم المسألة لا يد رون حكم الله فيها ويتوقفون فيها ، وهاهو أبو بكر الصديق ﷺ يقول : أى سماء تظلنى وأى أر ض تقلنى إذا أنا قلت فى كتاب الله بغير علم ، وها هو عمر بن الخطاب ﷺ تنزل به الحادثة فيجمع لها الصحابة ويستشيرهم فيها . قال ابن سيرين: لم يكن أحد أهيب بما لا يعلم من أبى بكر ولم يكن أحد بعد أبى بكر أهيب بما لا يعلم من عمر وقال ابن مسعود ﷺ : أيها الناس، من سئل عن علم يعلمه فليقل به ، ومن لم يكن عنده علم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم .

وسئل الإمام الشعبى عن مسألة فقال : لا أحسنها فقال له أصحابه : قد استحييا لك، فقال : لكن الملائكة لم تستحى حين قالت: لا علم إلا ما علمتنا .

وجاء رجل إلى مالك بن أنس – أحد الأئمة الأربعة – فقال: يا أبا عبد الله ، جئناك من مسافة بعيدة، مسألة حملنيها أهل بلدى لأسألك، فقال: فسل، فلما سأل قال الإمام مالك : لا أحسنها ، فبهت الرجل فقال : ماذا أقول لأهل بلدى إذا رجعت إليهم فقال تقول لهم ، قال مالك : لا أحسن .

وكان الإمام أحمد – رحمه الله تعالى – يسأل عن المسألة يتوقف فيها يقول : لا أدرى أو يقول : سل غيرى أو سل العلماء .

---

(1) سورة المائدة / 4 – 5.
(2) سورة الأعراف /187.
(3) سورة الإسراء / 85.
(4) سورة الكهف / 83.

فالواجب على المسلم ألا يقول فى دين الله ما لا يعلم﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [1] .

يقول الإمام الطبري: " فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا " فمن أشد ظلماً لنفسه ، وأبعد عن الحق ممن تحرض على الله قيل الكذب وأضاف إليه تحريم ما لم يحرم وتحليل ما لم يحلل ، ليصد الناس عن سبيل الله، فإن الله لا يوفق للرشد من افترى عليه وقال عليه الزور والكذب وأضاف إليه ما لم يحرم كفراً بالله واحتلالاً لعباده" [2]

يقول الإمام البغوى – رحمه الله تعالى: وقول الله تعالى: " وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون " عام فى تحريم القول فى الدين من غير يقين [3] .

وهكذا قد اتضح جلياً وعيد الله ﷻ لمن يقول فى دينه بغير علم ويضل الناس ومن يقول لما لم يحرمه ، هذا حرام ولما لم يحلله هذا حلال وهذا بيان منه ﷻ أنه لا يجوز القول فى الدين بغير علم وعلى الشباب أن يتفقهوا فى دين الله عن طريق أهل العلم الذين يجمعون بين ال علم والورع ومعرفة الله وليتجنبوا المنتسبين إلى العلم الذين يفتون بأهوائهم ويتلمسون الرخص ويطلقون الأحكام بدون أدلة علمية صحيحة من الكتاب والسنة .

ثانياً: عدم الاهتمام بالعلم الشرعي:

إن من أخطر مشكلات الشباب اليوم هى عدم اهتمامهم بالعلم الشرعى ، والأخطر من ذلك أنهم لا يعرفون مدى فداحة هذه المشكلة ، فأصبحت الأمة اليوم - إلا من رحم ربى – أمة ثقافة سطحية ، فتحولت الأصالة والعمق المتمثل فى تحصيل العلم الشرعى إلى أمة لا تعرف إلا المعلومات العامة والثقافة السطحية .. ولكن أين طلب العلم ؟

إننا نرى اليوم شباباً قد بلغ الثلاثين وهو لا يعرف لماذا أتى إلى الدنيا ولماذا يعيش وأين يسير بل تراه غاوياً لاهياً لا يعرف رسالته فى الحياة .

إن العلم الحقيقى هو العلم الذى ورث عن النبى ﷺ وعن صحابته رضوان الله عليهم ، وهو علم الكتاب والسنة الذى هو ميراث الأنبياء .

وبالعلم فقط نقضى على الجهل ، ونسد مسالك الشيطان الرجيم ، ونقاوم الغزو الفكرى ونجمع الشمل ونصحح المسيرة ونصحح حال الأمة .. هذه حقائق يصدقها العقل والنقل والواقع والتاريخ .

وإذا أطلقنا الكلام عن العلم فإنما نقصد به العلم الشرعى علم الكتاب والسنة ، ولا يعنى هذا ترك العلوم الدنيوية لكن الأصل هو العلم الشرعى .

إن الناظر لشبابنا اليوم يرى حالاً يرثى لها من قلة الرغبة فى العلوم الشرعية ومن الاهتمام بالعلوم الدنيوية وعلوم الآلات والصناعات وغيرها ، والله در القائل :

عليالعلم نبكى إذ قد اندرس العلم * ولم يبق فينا منه روح ولا جسم
ولكن بقى رسم من ا لعلم دائر * وعما قليل سوف ينظمس الرسم
وليس يفيد العلم كثرة كتبه * فماذا تفيد الكتب أن فقد الفهم
فعار على المرء الذى تم عقله * وقد أقلت فيه الشجاعة والحزم
إذا قيل ماذا أوجب الله يافتى * أجاب بلا أدرى وأنى إلى العلم
واقبح من ذا لو أجاب سؤاله * بجهل فإن الجهل مورده وخم

---

(1) الأنعام /144.
(2) تفسير الطبري / 12 – 188.
(3) تفسير البغوي/ 3 – 226.

إن جميع أمراض الأمة من معاصٍ وتفرقة وتخلف وشتات ترجع أسبابها إلى نقص العلم الشرعى عند الأمة ، ولهذا فان الله تبارك وتعالى أول ما أنزل من كتابه وهو الأمر بالقراءة ، فقال :﴿ ٱقۡرَأۡ﴾ [1] . والرسول ﷺ أمى لا يقرأ ، وأمية الرسول من دلائل نبوته ، لأنه لو كان قارئاً وكاتباً لقال الكفار هذا القرآن من بنات أفكاره ، ولهذا قال الله ﷻ : ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨﴾ [2] ، فالرسول ﷺ أمى ويأتيه ملك الوحى ليقول له اقرأ ، والحديث فى صحيح البخارى " فغطنى حتى بلغ من الجهد ثم أرسلنى ثم غطنى ثم أرسلنى ثلاث مرات ثم قال لى اقرأ قلت ما أنا بقارئ قال اقرأ قلت ما أنا بقارء قال اقراأ ثلاث مرات قلت ما أنا بقارئ : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ [3] .

ميراث النبى ﷺ من الضياع ، ولا يكون ذلك إلا بطلب العلم الشرعى وتحصي له، ومما يشجع الشباب ويحمسهم على طلب العلم الشرعى معرفة حكم طلب الشرعى ، فمن العلم الشرعى ما هو واجب عينى على كل فرد مسلم ، لقوله ﷺ : " طلب العلم فريضة على كل مسلم " [1] .

ومن هذا العلم الذى هو فرض عين : أصول الإيمان الستة وما يناقضها وعلم الطهارة والصلاة والصيام والحج والزكاة وتو ابعها وشروطها ومبطلاتها ، وكذلك علم أحكام المعاملة مع الناس كالأرحام والزوجة والولد والجار ، وكذلك يجب تعلم أحكام البيوع لمن يبيع ويشترى وبعامة فالمرء يلزمه تعلم أحكامها وهكذا الحج والزكاة والمعاملات وغيرها .

ومن العلم ما هو واجب كفائى يجب على الأمة فى مجموعها ، فإذا قام به البعض سقط عن الأمة ، وتدخل فيها العلوم الضرورية للأمة عامة .

فإذا علمنا أن من العلم ما هو فرض عين قويت الهمة لطلب العلم الشرعى لرفع الإثم عنا .

كما أن الشباب أن يضعوا نصب أعينهم شرف طلب العلم الشرعى وفضل العلم والعلماء ، وفى الصحيحين يقول ﷺ " من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين " [2] ، ويقول ﷺ " من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة وأن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع ، وأن العالم ليستغفر له من فى السماوات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وأن العلماء ورثة الأنبياء" وأخرج الطبرانى عن النبى ﷺ : " من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلمه كان له كأجر حاج تامة حجته " [3] .

ومن فضل العلم أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يدعوه ويسأله أن يزيده منه فقال تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [4] .

فقال تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [5] .

---

(1) العلق / 1.
(2) العنكبوت / 48.
(3) العلق / 1 – 5.
(1) رواه البيهقى فى الشعب ، وهو فى صحيح الجامع الصغير (3808) .
(2) صحيح مسلم 3 /428 ، وأخرجه أبو داود فى السنن 2 /199 .
(3) صحيح الألباني فى صحة الترغيب (81) .
(4) سورة طه /114 .

وهذا يدل على فضل العلم وأهله .

ومما يدل على شرف العلم الشرعى وفضله أن نعلم بأن الذى يقدم فى المناصب والولايات الشرعية هو الأعلم والأتقى ، قال ﷺ: " يؤم الناس اقرؤهم كتاب الله ، فإن كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالكتاب والسنة " .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى :فقدم ﷺ فى الإمامة فضيلة العلم على تقدم ا لإسلام والهجرة، وهذا يدل على شرف العلم وفضله، فان أهله هم أهل التقدم إلى المناصب الدينية"[1].

ومن فضل العلم قوله ﷺ : " الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالماً أو متعلماً " [2].

وروى الخطيب فى شرف أهل العلم أن أعرابياً مر وابن مسعود ﷺ يعلم ويحدث طلابه هم حوله يجتمعون ، فقال الأعرابى : علام اجتمع هؤلاء ؟ فقال ابن مسعود : على ميراث محمد ﷺ يقتسمونه بينهم " [3].

وقال سفيان الثورى : ما أعرف شيئاً أفضل من طلب الحديث " [4].

وقال : لا اعلم بعد أفضل من طلب العلم " [5].

وقال بعض السلف : تعلموا العلم فان تعلمه حسنة ، ودار سنة تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعلمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وهو منار سبيل أهل الجنة والأنس فى الوحدة والصاحب فى الغربة والدليل فى الظلمة ، برفع الله به اقواماً فيجعلهم فى الخير قادة وفى الهدى أئمة يقتدى بهم وترغب إليهم الملائكة بأجنحتها ، وكل رطب من ال عمى ، به يطاع الله وبه يعبد وبه يعرف الحلال والحرام .

كما أن طلب العلم يرفع قدر صاحبه وهذه من الثمار العاجلة فى الدنيا فتجد القلوب تتفق على احترام وتوفير العالم وطالب العلم لما يحملانه من العلم الشرعى وكذلك فى الآخرة ترفع درجاتها ، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[6].

وفى صحيح مسلم عن أبى الطفيل أن نافع بن عبد الحارث أتى عمر بن الخطاب وكان عمر قد استعمله على مكة ، فقال عمر له: من استعملت على أهل الوادى ؟ قال نافع : استعملت عليهم ابن أبَزى، فقال عمر : من ابن أبزى ؟ قال: رجل من موالينا، فقال استخلف عليهم مولى ؟! فقال نافع : انه قارئ لكتاب الله عليهم بالفرائض، فقال عمر : أما إن نبيكم ﷺ قال: إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ، ويضع به آخرين" [7].

وقد كان عطاء بن أبى رباح عبداً أسوداً لا مرأة من أهل مكة وكان أهل مكة يرجعون إليه فى الفتيا وقد جاءه يوماً سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين ومعه والده ، فجلسوا إلى عطاء وهو يصلى ، فلما صلى التفت إليهم ثم قال الخليفة سليمان لأبيه قوما فقاما، ثم قال : يا بنى لا تنيا فى طلب العلم، فإني لا أنسى ذلنا يدي هذا العبد الأسود .

كما أن فضل العلم فى الإسلام أحسن من فضل العبادة ؛ يقول ﷺ : " فضل العلم أحب إلى من فضل العبادة " [1].

وقال الإمام الزهري : ما عُبد الله بشيء أفضل من العلم " [2] وقال الإمام النووى: والحاصل أنهم متفقون على أن الاشتغال بالعلم أفضل من الاشتغال بنوافل الصوم والصلاة والتسبيح ونحو

---

(5) النحل / 43 .
(1) مفتاح دار السعادة 1 / 73 .
(2) رواه بن ماجة وهو فى صحيح الجامع (3414) .
(3) تهذيب تاريخ دمشق 3 /245 .
(4) نفسه 3 /245 .
(5) نفسه 10 /160 .
(6) سورة المجادلة / 11 .
(7) صحيح مسلم / 4 – 252 .
(1) صحيح الجامع (4214) وأخرجه الحاكم وغيره .

ذلك، قال: لأن العلم تبقى فائدته وأثره بعد موت صاحبه، والنوافل تتقطع، ولأن العلم فرض كفاية والنوافل مستحبات " [3] .

قال ضرار بن عمرو رحمه الله : " إن قوما تركوا العلم ومجالسة أهل العلم ، صلوا حتى بلى جلد أبدانهم على عماها، وخالفوا السنة فهلكوا والذى لا إله غيره ، ما عمل عامل بعمل على جهل إلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح .

وليعلم الشباب أن أعظم باب يدخل منه إبليس عليهم هو باب الجهل ، وما انتشرت الجرائم ولا كثرت الفواحش ولا تجرأ الناس على دين الله إلا بسبب قلة العلم وتفشى الجهل ، وأن من ثمرة الجهل الغش للخلق والكبر عليهم والفخر والخيلاء والعجب والرياء والنفاق والكذب والغلظة على الناس وحب الانتقام وحب غير الله ورجائه والتوكل عليه وإيثار رضاه على رضا الله ، وتقديم أمره على أمر الله ، والدهوة إلى سبل الشيطان والى سلوك طريق البغى والعدوان واتباع الهوى وإيثار الشهوات على الطاعات ..

هذه بعض عواقب الجهل بالدين ، فهل عرفنا قيمة العلم وخطورة الجهل أيها الشباب ؟

ألا فبادروا بالسير فى طريق طلب العلم الشرعى ، وعليكم بالاجتهاد والبذل والتضحية فى سبيل تحصيل العلم والتنافس فى ذلك كما فعل السلف الصالح رضوان الله عليهم .

ثالثاً: ترك الأدلة الشرعية :

يقول ﷺ ، فى الحديث الذى رواه أبو هريرة ﷺ : " تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتى " [4] .

وكما أوصانا ﷺ فى خطبة الوداع قائلاً: " وقد تركت فيكم ما أن اعتصمتم به فلن تضلوا بعدى أبداً أمراً بيناً كتاب الله وسنة نبيه "[1] .

وعن كثير بن عبد الله عمرو بن عوف عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : " تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه ﷺ " [2] .

إن النبى ﷺ بيَّن لنا فى هذه الأحاديث الشريفة أن الكتاب والسنة من تمسك بهما فقد هدى ونجا من الجهل والضلالة ، ولا سلامة من الضلالة إلا فى اتباعها ولذلك فإن السلف كانوا يقولون : " الاعتصام بالسنة نجاة ".

وقال الإمام مالك رحمه الله : السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك .

واتباع الكتاب والسنة هو اتباع الرسالة التى جاءت من عند الله فمنبعها بمنزلة من ركب سفينة نوح .

إن من أكبر أسباب ظاهرة الجهل بالدين لدى الشباب هو رجوعهم فى أفكارهم ومعتقداتهم وتصرفاتهم إلى من يدعون أنهم مفكرون وفلاسفة أو من يزعمون أنهم أولياء دون أن يرجعوا إلى الكتاب والسنة فنجد هذا مولعاً بمؤلفات ماركس وهذا يتبع سارتر وثالث لا هم له إلا أقوال من يزعمون الولاية ويردد فيما يذكرونه من أوراد ليل نهار .

وإذا تدبر المرء سائر مقالات الفلاسفة أو من يدعون الولاية وغيرهم وما فيها من الضلال ونظر فى الكتاب والسنة وجدهما كاشفان لأحوالهم فاضحان لحقيقتهم .

وقد قال النبى ﷺ : " **فمن رغب عن سنتى فليس منى** " [3] .

إن الدين لا يؤخذ عن الفلاسفة أو اجتهاد البشر وأقوالهم ، إنما يؤخذ عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

---

(2) البداية والنهاية لابن كثير 9/ 345 .
(3) المجموع ، الإمام النووى 1/ 21 .
(4) سلسلة الأحاديث الصحيحة 4 /330 ، سنن الدارقطنى / 4 – 245 .
(1) صحيح مسلم / 6 – 245 ، سنن ابن ماجة / 9 – 200 .
(2) أخرجه مالك فى الموطأ / 5 – 371 .
(3) صحيح البخاري / 15 – 493 .

أخرج الشيخان عن أنس بن مالك ﷺ قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت الزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروهم كأنهم تقالّوها ، فقالوا : أين نحن من النبى ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم : أما أنا فأنى أصلى الليل أبداً ، وقال آخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : " أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إنى لأخشاكم لله واتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى " [4] .

فهؤلاء الثلاثة أرادوا أن يشرعوا لأنفسهم تشريعاً ظنوا أنه يقربهم إلى الله تعالى وتركوا هدى النبى ﷺ فأوقعوا أنفسم فى العنف والمشقة فأخبرهم صاحب الرسالة ﷺ أن هذا ليس من الإسلام وأن من رغب عن طريقته وسنته فليس منه ﷺ .

أيها الشباب : إن العلم من الوحى والوحى هو الكتاب والسنة، ومن لم يأخذ العلم من القرآن والسنة فقد أهلك نفسه وأوردها مو ارد الجهل ، ويقول الإمام الذهبي : " إذا رأيت من يقول دعنا من الكتاب والأحاديث وهات العقل، فأعلم أنه أبو جهل .

الآثار المترتبة على الجهل بالدين:

إن الإعراض عن طلب العلم الشرعى وتعلم أمور الدين وشرائعه يوقع المرء فى مصائب عظيمة وخطيرة من بدع ومنكرات وموبقات .

إن الآثار المترتبة على الجهل خطيرة جداً ولكن أخطرها الوقوع فى الشركيات والاعتقاد فى المخلوق وأنه ينفع ويضر ، ومن ذلك ما نراه فى بعض المجتمعات الإسلامية من اعتقاد فى الدجالين والعرافين ويذهبون إليهم عند كل شدة وملمة ليأخذوا منهم " الحجب" "والحروز" ويقولون هذا يحجب عنا الجن ويحرسنا من ضررهم ، ونسوا حديث الصادق المصدوق " من علق تميمة فقد أشرك " [1] ، وقوله ﷺ من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد " [2] وما حدث ذلك منهم إلا لجهلهم إن هذا من الشرك ، إذ لو عرفوا ما فعلوا ذلك ولوجدوا حكم الله فى هذه الأمور .

ومن ذلك أيضاً إن بعضهم إذا أراد بناء بيت أو تأسيسه ذبح عند الأساس كبشاً أو نحو ذلك وقالوا : إن هذا الذبح يطرد الجن ويطرد الحسد ، وما دروا إن هذا شرك لأنه ذبح لغير الله تعالى ، وأن الجن يكفى لطردهم الإستعاذة بالله تعالى والتعوذ بأسمائه وصفاته والتحصن بما ورد عن النبى ﷺ من أدعية وأذكار .

كذلك أيضاً فشا فى كثير من البلدان أنواع من الشركيات هى السحر والشعوذة واستخ دام الشياطين وإدعاء معرفة الغيب ، وليس العجب من الذ ين يدعون معرفة الغيب ويقومون بالسحر والشعوذة ؛ فإن أولئك أولياء الشياطين ، ولكن العجب ممن يصدقونهم ويتهافتون إليهم ويسألونهم ويعتقدون أنهم على حق وأنهم مصيبون، وما الذى أودى بهم إلى ذلك ؟

كذلك من آثار الجهل ما نراه فى أحوال الشباب من المعاصى والموبقات فم ا شربت الخمر إلا بسبب الجهل ، وكثير من الشباب تعاطوا الخمور وادعوا أنها ليست حراماً وسموها مثلاً نبيذاً أو شراباً روحياً ، أو رأو من يشربها وظنوا أنها جائزة، أو رأوا من يتعامل بها فتعاطوها إما سراً أو جهراً ولم يردعهم رادع عن ذلك ولو عرفوا ما فى القرآن الك ريم لعرفوا أنها محرمة غاية فى التحريم ولكن بسبب الجهل والأعراض عن أحكام الشريعة وقعوا فيما وقعوا فيه .

كذلك نرى شبابنا ينهمك فى لعب القمار طول ليلهم ، ولم يدروا أن هذا هو الميسر الذى حرمه الله وقرنه بالخمر ، ويمضى الشباب طول ليلهم فى اللهو والمعاصى حتى يمضى نصف الليل أو أكثره ثم ينامون ويفوتهم الخير الكثير ، ولا إنهم على جهل بدينهم ؛ إذ لو كانوا على علم لما استباحوا هذا الذى حرمه الله ونهى عنه وأكد النهى عنه .

---

(4) صحيح مسلم / 7 – 175 .
(1) أخرجه الإمام أحمد فى المسنة / 35 – 291 .
(2) أخرجه الإمام أحمد فى المسند / 19 – 214 .

وهناك من انهمكوا فى آلات اللهو فملؤوا البيوت الأغانى أو آلات الغناء المحرمة التى يقصدون كما يزعمون بها التسلية والترويح عن النفس ولا شك أن هذا ليس بصحيح فإن الغناء سماعاً أو رؤية أو سماعاً من أشرطة وأفلام أو ما أشبه ذلك لأنهم رأوا كثرة من يفعله وأعرضوا عن سماع النصائح ولم يشغلوا أنفسهم بالطاعات وفعل الخيرات وطلب العلم ، ومع أن هؤلاء يدعون أنهم معذورون فهم ليسوا بمعذورين ، وذلك لأن العلماء بنوا الأدلة على تحريم ذلك وعلى آثاره السيئة ، فإن الغناء بريد الزنا كما قال الناس وقد يسر الله علماء خدموا هذه الشريعة وأوضحوا أحكامها وبينوا ما فيها من الحلال والحرام ودعوا إلى تعلمه وتفهمه ، فلا عذر لأحد فى أن يبقى مُعرضاً أو أن يبقى جاهلاً .

إن نراه من تدهور فى الأخلاق وترك للطاعات وبعد عن الله ليس له سبب إلا الجهل بالدين : فما تركت الصلاة إلا بسبب الجهل أو ادعائه وما تخلف الشباب عن الجماعات فى المساجد إلا بسبب الجهل وما شربت الخمور إلا بسبب الجهل وما خولفت السنة وانتشرت البدع والأهواء إلا لما فشا الجهل بالدين وما انتشر اللهو والغناء والطرب والسهر على القمار إلا بسبب الجهل ، وما تبرج النساء واختلطن بالرجال وفشا الزنا ونحو ذلك إلا بسبب الجهل وكذلك ما ذبح لغير الله وعلقت التمائم والحروز واستعملت الرقى الشركية وأشباهها إلا بسبب الجهل وما عظم السحرة والكذابون والمشعوذون والكهنة ونحوهم إلا بسبب الجهل الذى خيم على قلوب كثير من الشباب فى مجتمعاتنا .

هذه بعض الآثار التى ترتبت على الجهل بالدين عند الشباب وأصبحت ظاهرة ملحوظة وأصبح الشباب بسبب جهلهم بالدين يسيرون من سيئ إلى أسوأ بعد أن أعرضوا عن طلب العلم وطاعة الله تعالى ، وصدق الحق تبارك وتعالى إذ يقول :﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[1] .

علاج ظاهرة الجهل بالدين:

وبعد أن رأينا معاً أسباب هذه الظاهرة وآثارها الخطيرة نأتى إلى الحلول المناسبة لتجنب شبابنا ذلك الداء العضال ونتعرف على سبل ووسائل الوقاية وكيفية العلاج من خلال المحاور الآتية:

أولاً: الوسائل التى تزيل الجهل بالدين وتمحو الأمية عن المسلمين .
ثانياً: دور العلماء فى علاج ظاهرة الجهل بالدين .
ثالثاً: دور الخطباء وأئمة المساجد .
رابعاً: دور الإعلام فى علاج تلك الظاهرة .
خامساً: نشر الإسلام الصحيح " الدعوة إلى الله على بصيرة " .

أولاً : الوسائل التى تزيل الجهل بالدين وتمحو الأمية عن المسلمين

(أ) سؤال أهل العلم وزيارتهم وحضور دروسهم :

وحيث عرفنا أن الجهل بهذه المثابة وأن هذه الآثار الخطيرة ، فإننا نحث الشباب ألا يبقوا على جهلهم بأمور دينهم ، ومن المؤسف أن غالبية الشباب لا يتفقد العلماء ولا يسأل عنهم إعراض عن العلم وإعراض عن أسبابه ، ونرى كثيراً من الناس لا يفقهون من أمور دينهم شيئاً ، فإذا وقع أحدهم فى طلاق أو ظهار أو فى تحريم أو ما شابه بحث وسأل ، فلماذا بقى هؤلاء على جهلهم طول عمرهم حتى وقعوا فى التحريم ولو كانوا على دراية بأمور دينهم لما وقعوا فى هذا الجهل .

ليعلم الشباب أن العلم لا يأتى أحداً ولكن يؤتى إليه ، فيعلمهم بزيارة العلماء ويتابعهم والسؤال عنهم وتتبع مؤلفاتهم ومحاضراتهم فإن ذلك من أكبر الوسائل فى دفع الجهل ؛ فإنه لا عذر لأحد

---

(1) سورة طه / 124 .

فى بقائه على جهله ، لا سيما فى هذه الأزمنة ، فقد توفرت والحمد لله الأسباب التى يزول بها الجهل .

(ب) اقتناء كتب العلم وقراءتها :

قد يسر الله فى هذه الآونة طباعة كتب العلم ونشرها ، فلا يبخ ل الشباب على أنفسهم أن يقتنوا بعض هذه الكتب التى تهمهم فى أمور دينهم ، لا سيما كتب التفسير وكتب الحديث والفقه ومؤلفات العلماء القديم منها والحديث .

(ج) تخصيص وقت يومى لقراءة القرآن الكريم والسنة المطهرة :

لإن القرآن شفاء من الجهل وهو النور الذى من تمسك به فلن يضل أو يجهل أبداً ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1] .

قال الإمام القرطبى فى تفسير هذه الآية : " قال بعض العلماء القرآن شفاء للقلوب بزوال الجهل لفهم الأمور الدالة على الله تعالى " [1] .

ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] .

قال الشيخ ابن سعدى : فى تفسير هذه الآية : " هذا القرآن شفاء لما فى الصدور من أمراض الشهوات الصادرة عن الانقياد للشرع ، وأمراض الشبهات الفادحة فى العلم اليقينى فإن فيه من المواعظ والترغيب والترهيب والوعد والوعيد ما يوجب للعبد الرغبة والرهبة ، وإذا وجدت فيه الرغبة فى الخير والرهبة عن الشر ، ونمت عنده هذه الرغبة والرهبة أو جب ذلك تقديم مراد الله على مراد النفس ، وصار ما يرضى الله أحب إلى العبد من شهوة نفسه – وأيضاً فإن العلم بالسنة المطهرة شفاء لأمراض الجهل والشبهات ، كما جاء فى حديث صاحب الشجة الذى أفتاه أصحابه بالغسل فاغتسل فمات ، فقال النبى ﷺ : " قتلوه قتلهم الله " ألا تسألوا إذا لم يعلوا ؟ إنما شفاء العى السؤال . قال ابن القيم فلا يخرج مرضه – أى القلب – عن شهوة أو شبهة أو مركب منهما ، وهذه الأمراض كلها متولدة عن الجهل ودواؤها العلم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ " [3] .

ثانياً : دور العلماء فى علاج ظاهرة الجهل بالدين :

والعلماء هم الذين يعرفون شرع الله ويفقهونه ويعلمون به ، المتبعون لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ والسلف الصالح على هدى وبصيرة .

وقد نوه الله تعالى بالعلماء وبين الرسول ﷺ منزلتهم فالعلماء هم أخشى الناس لله ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا ﴾ [4] وأنهم مرجع الأمة ، قال تعالى : ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[5] وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [6] ، وقد قرنهم الله تعالى بالملائكة فى الشهادة بالتوحيد : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟

---

(1) سورة الإسراء / 82 .
(1) الجامع لأحكام القرآن / 9 – 205 .
(2) سورة يونس / آية 57 .
(3) تفسير السعدي : 1 / 366 .
(4) سورة فاطر : 28 .
(5) سورة النحل : 43 .
(6) سورة النساء : 83 .

ٱلْعِلْمِ﴾ [1] ، بل جعلهم الله تعالى من أولى الأمر الذين طاعتهم . قال تعالى : ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [2] ، قال ابن عباس وجابر بن عبد الله وأبو العالية ومجاهد وعطاء والحسن البصرى : هم أولو العلم والفقه وقد رفعهم الله تعالى بالعلم درجات ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [3] .

وفضل الله العلماء على العباد المنقطعين لعبادة الله فقد أخبر النبى ﷺ أن " فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب " [4] .

إن العبء الأكبر فى علاج تلك الظاهرة الخطيرة يقع على كاهل العلماء ، فإن العلماء هم الذين أوتوا الفقه فى الدين والبصيرة فى معرفة ا لنبى ﷺ ، وأن النبى ﷺ قد أمر أن يقول بان سبيله : الدعوة إلى الله على بصيرة ، ولا تأتى البصيرة إلا بال‌علم والفقه فى الدين، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[5].

ولا شك أن اتباع الأنبياء وورثتهم هم العلماء ، ويتحقق هدف الدعوة إلى الله بالعلم والعمل والقدرة وبالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإصلاح والاستقامة والتجرد والإخلاص وهذه الأركان أكثر ما تتوفر فى العلماء .

وفى هذه المسألة سؤال يتوارد على أذهان كثير من الناس : هل يعنى هذا أنه لا يدعو إلى الله إلا عالم ؟

بالطبع لا ، بل على كل مسلم عرف شيئا من الدين وتبصر به أن يدعو إليه بعد التبصير وفقه المسألة التى يدعو إليها ، وإنما تكون قيادة الدعوة وريادتها وتوجهها للعلماء ، وأن العلماء هم الذين يتصدرون الدعوات فى كل أمر ذى بال ، ولا بد أن يكونوا هم القادة وهم المرجع فى كل الأمور .

وعلى العلماء أن يقوموا بواجبهم من التبليغ للناس وتبصيرهم ونشر العلم والنصح للأمة والولاة والعامة ، كل منهم حسب ما يستطيع وحسب ما يرى من أساليب يتأدى بها الواجب .

ومن واجب العلماء ألا يغيبوا عن الساحات الدعوية ، فإن غيابهم يعد من أسباب تنامى ظاهرة الجهل بالدين وعليهم أن يبرزوا فى كافة الساحات من خلال المحاضرات والندوات والكتابة فى الصحف والمجلات وتأليف الكتب والمشاركة فى وسائل الإعلام المسمو عة والمرئية والندوات والمؤتمرات .

وعلى الأمة أن تمكن العلماء من القيام بواجبهم وتفتح الآفاق لكلمتهم إعلامياً ، وأن تُسخر الإمكانيات لهذا الغرض ، ليرتبط شباب الأمة بعلمائها من خلال عقد اللقاءات معهم والاتصال بهم وتفقد أحوالهم وتوجههم ، وليعلم العالم الشر عى أنه مرجع للجميع الحاكم والمحكوم على حد سواء .

وعلى العلماء أن يكونوا واضحين وصادقين فى دعوتهم وألا يترددوا فى درء الجهل ورفضه آياً كان مصدره ، بأوضح عبارة وأبين إشارة مع الاستدلال والتوضيح وبيان سوء عواقب

---

(1) سورة آل عمران : 18 .
(2) سورة النساء : 59 .
(3) سورة المجادلة : 11 .
(4) أخرجه أبو داود : 1 – 49 ، والترمذى : 9 – 299 ، وابن ماجة : 1 – 259 .
(5) سورة يوسف : 108 .

الانحراف ، كل ذلك أسلوب هادئ وسليم بالحكمة وا لموعظة الحسنة فالعالم يشكل مرجعية تستوجب الاتزان والعدل وضبط العبارة وسداد الحكم .

إن العلماء هم مرشدو الأمة وقاتها وعلى كاهلهم تقع مسئولية انتشال شباب الأمة من مستنقع الجهل بالدين ، لأنهم أولو الأمر فى هذه الأمة وعليهم توجهها والأخذ بيدها إلى طريق العلم والفلاح .

ثالثاً: مسئوليات ودور خطباء وأئمة المساجد فى القضاء على ظاهرة الجهل بالدين :

هناك مهام ومسئوليات منوط بها أئمة وخطباء المساجد ، تلك المسئوليات التى قاموا بها حق القيام لأمكنهم القضاء على الجهل فى مجتمعاتهم بل وإعطاء المسجد دوره الحقيقى فى ال توجيه والتربية والتثقيف ، وتتمثل مسئوليات الخطباء فيما يلى :

(1) المسئولية العلمية والثقافية:

إذ ليس يستطيع كل واحد أن يرقى المنبر ويخطب الجمعة ، بل يرقاه من يوفى بحقه والعلم أول هذه الحقوق .

أ – **العلم بالله تعالى :-** قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [2] ، ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾[1].

ب- العلم بالقرآن الكريم :

يقول تعالى : ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ﴾ [2].

ج - العلم بالسنة المطهرة :

يقول تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [3] ويقول تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [4] ، إلى غير ذلك من الأدلة التى تلزم خطيب المسجد أن يكون على دراية كبيرة بسنة النبى ﷺ حتى يمكنه درء الجهل عند الشباب وأن يقوم بواجبه التربوى والإرشادى خير قيام.

وعلى الخطيب أن يكون ملماً بأحوال العصر وواقع الأمة، فإن القول فى الواقع بلا علم ذريعة إلى ضلال عريض وفساد كبير، وقد كانت طريقة السلف الصالح ، أن يفهموا الواقعة ثم ينظروا ما يناسبها من النصوص فى الكتاب والسنة.

ومن واجب الخطيب أن يكون على دراية بأقوال السلف الصالح وفهم ا لكتاب والسنة ، وقال الإمام أحمد – رحمه الله تعالى :- أصول السنة عندنا التمسك بما عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم والسنة عندنا آثار رسول الله ﷺ.

ويقول الإمام أحمد الأوزاعى – رحمه الله تعالى -: " اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا وكف عما كفوا، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم ".

---

(1) فاطر/ 28.
(2) محمد/ 19.
(1) الفرقان 58 ، 59 .
(2) الرعد 19 .
(3) الحشر 7 .
(4) النور / 63 .

ومن واجبات الخطيب أن يقدر المصلحة العامة، فالخطبة إنما تقال فى مجتمع، ولهذا المجتمع مصالح عامة وحيوية، ومن هنا وجب على الخطيب أن يكون لديه الحكمة ، بحيث يراعى تلك المصلحة ويقدرها فالدعوة إلى الله تكون بالحكمة والموعظة الحسنة ، وذلك حتى لا يحدث اضطراب فى المفاهيم عند الناس ويكونوا على وعى صحيح بأمور دينهم ودنياهم.

وعلى الخطباء وأئمة المساجد أن يكونوا متفاعلين مع العامة متابعين لأحوالهم، فالمسجد جزء من المجتمع ، وبه قام وفى كنفه يعيش ، ولذا يتعين على الخطيب أن يكون متفاعلاً مع المجتمع وأن يتكامل جهده مع الجهود الأخرى فى توجيه الشباب ، وأن يكون احتكاكه بالناس مغيراً لما عندهم من المفاهيم الخاطئة وأن يبسط بين أيديهم صحيح الكتاب والسنة والمواقف المضيئة من حياة السلف الصالح وعليه أن يُحيى لدى الشباب القيم العامة والفضائل العظيمة مثل: الأمانة وبر الوالدين وصلة الرحم والإنفاق فى سبيل الله والتكافل والعطف على الضعيف والأرملة واليتيم والمسكين ، والاستقامة والوفاء بالعهود والعقود والإخلاص والصدق والتعاون على البر والتقوى والرحمة والحياء وحب العلم والتآخى والتواصى بالحق والصبر وغير ذلك من الفضائل والأخلاق التى هى باب ديننا الحنيف.

(رابعاً): دور الإعلام فى علاج ظاهرة الجهل بالدين :

إن المتأمل للواقع الحالى يجد صراعاً ثقافياً وإعلامياً يدور على الساحة لم يسبق له مثيل ، وهذا الصراع لا يقل عن الصراع الاقتصادى والعسكرى.

وإن الشباب فى هذه الآونة فى أشد الحاجة إلى الإعلام الهادف البناء وبرغم أهمية الوسائل الأخرى فى القضاء على الجهل، إلا أن وسائل الاتصال الحديثة كالإنترنت والفضائيات أصبحت ضرورة من أجل محو الأمية الدينية عند الشباب.

إن الإسلام هو أعظم رسالة ، ولابد أن تستخدم من أجل نشر وتوعية الشباب ، بحقيقته أعظم الوسائل وأشدها تأثيراً وهذا ما يلقى بمسئولية كبيرة على الإعلام الإسلامى ودوره فى درء الجهل بالدين.

إن الإعلام منبر لنشر العلم والقضاء على الجهل لا مثيل له . ولذلك على جميع المضامين التى ينشرها الإعلام من أخبار ومقالات وتحقيقات وأطروحات أن تصب جهودها فى توعية الشباب بحقيقة دينهم ومنهجه وإنارة الطريق أمامهم وتوضيح المعالم لهم.

كما أن الكتابة فى الصحف لابد أن تخدم الشريعة وأن توعى الشباب بأمور دينهم وتتبنى الآراء التى تبصر الشباب بالدين وأن تكون نصرة الدين والقضاء على الأمية الدينية من أهم أهدافها.

إن الإعلام الإسلامى فى الآونة الأخيرة قد خطا خطوات لا بأس بها فى سبيل نشر الدين وتوعى الشباب، وإن الشباب يلمسون دور الفضائيات الإسلامية فى تحويل شرائح كبيرة من الشباب إلى الخير والصلاح وغيرت أفكارهم إلى أفكار سليمة وبدأ الشباب يتفاعلون مع هذه الفضائيات من خلال الأسئلة والاستفسارات للعلماء من خلال البرامج ينظمونها على هذه القنوات الطبية.

إننا نريد من إعلامنا أن يسير على هذه الخطوات ويتبنى الفكر الصحيح ويدافع عن الدين ويدعو إلى الهدى والرشاد، وعليه أن يتبنى الوسائل المتطورة الفعالة التى تضمن تزويد أفراد المجتمع على اختلاف فئاتهم وأعمارهم ومستوياتهم بالقدر المطلوب من التوعية بأمور دينهم وبالثقافة الإسلامية وعلوم الدين.

وعلى الإعلام أن يتصدى للحملات المغرضة والسموم الإعلامية التى يبثها أعداء الإسلام والجاهلون به ، والعمل على إبراز حقيقة الإسلام لدى الشباب.

إن مهمة الإعلام ومسئوليته مسئولية خطيرة تتمثل فى تبليغ رسالة الإسلام وتوضيح صورته أمام الشباب وما كان الرسول ﷺ إلا مبلغاً لهذه الرسالة عندما نزلت من السماء وفق الأمر الإلهى

فى قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ [1] .

فنهض صلوات الله وسلامه عليه فى أداء المهمة ، وقال بإبلاغ الرسالة حتى آتاه اليقين وقد شهدت له أمته بذلك .

ففي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال فى خطبته فى حجة الوداع : " أيها الناس إنكم مسؤولون عنى، فما أنتم قائلون، قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت . فقال بإصبعه السبابةيرفعها إلى السماء اللهم اشهد " ثلاث مرات " [2] .

وإذا كان الرسول ﷺ هو قدوتنا، وأسوتنا ، وإذا كنا مطالبين بنشر رسالة الإسلام وتعريف الشباب بها ، فإن ذلك يتطلب منا أن نبذل أضعاف ما نبذل لكى نقضى على تلك الظاهرة الخطيرة .

إن العمل الإعلامي بات – وعلى رغم ذلك – يعانى من عقبات عدة تستلزم بالضرورة الع مل الجاد لإزاحتها والتغلب عليها، إن القائم على العمل الإعلامى يجب عليه أن يهيئ نفسه كى يكون أهلاً للمسئولية المنوط بها من حيث المستوى العلمى والمهارى حتى يمكنه توصيل الصورة صحيحة لدى الشباب والتأثير عليهم، وحتى يواجه الإعلام المضاد الذى ينقض القيم من أساسها.

ولقد رأينا فى عصر أصبح فيه الإعلام هو كل شئ ، وصار أصحاب المهام الدنيوية كالاقتصاديون والسياسيون يعملون للإعلام ألف حساب، وكم يرصدون له من ميزانيات من أجل التعريف بمنتجاتهم، بل أصبحت وسائل الإعلام فى ميد ان الاقتصاد مثلاً تصنع الاستهلاك أو تصنع الحاجة ، فقد يكون الناس غير محتاجين لسلعة معينة ولا يعرفون أهميتها ، ولكن حين يمارس الإعلام تأثيره يصنع لدى الشباب الرغبة فى هذه السلعة ، فأصبح الإعلام يصنع ذوق الشباب ويوجه أفكارهم وسلوكهم وقيمهم .

ونحن بين يدينا أفضل سلعة وهى رسالة الإسلام التى لا شئ فى الوجود أغلى منها ولكن الشباب يجهل هذه السلعة ولا يدرك حقيقتها وقيمتها ، فينبغى ألا يغيب عنا حال كيفية عرض هذه السلعة الغالية أمام الشباب .

وإن وسائل الإعلام الآن أصبحت كالهواء فى حياة الناس ، فهى تخترق عليهم بيوتهم وأماكن عملهم وحتى فى وقت راحتهم وأوقات اجتماعاتهم ، فهذه الوسائل أنجح من أى وسيلة أخرى فى القضاء على ظاهرة الجهل بالدين إذا أحسن استغلالها ، فإذا أخذنا الدروس والمحاضرات كمثال فإنه مهما حشدنا من الحضور ومعنا من الناس فإنه سيبقى فى النهاية ما نجمعه محد وداً فى إطار مكان معين وفى إطار زمان معين : ساعة أو ساعتين ولا يستطيع الحضور إلا من كانت ظروفه مناسبة أما غيرهم فلا يحضرون وقس على ذلك فى البرامج العلمية والدعوية التى يمكن تقديمها للشباب ، أما وسائل الإعلام فلا تعرف حدود الزمان أو المكان ناهيك عن تأثير أس لوب العرض فى تلك الوسائل إذا تقدم العرض فى صورة مشاهد حية أو أحداث مالا تمتلكها الوسائل الأخرى .

كما أن إعداد المتابعين لوسائل الإعلام تقدر بالملايين ، ولذا أن نتصور تأثير هذه الوسائل على الناس وعلى واقعهم .

إن الدعاة الذين يسعون إلى درء ظاهرة الجهل بالدين يجب أن يكونوا على وعى بواقع وسائل الإعلام ودورها فى تشكيل افهام الشباب وعقليتهم ومواقفهم ولذا وجب عليهم ألا يكونوا غائبين عن ذلك الميدان .

(خامساً): نشر دين الإسلام الصحيح:

كلُ حسب طاقته " الدعوة إلى الله على بصيرة ":

---

(1) سورة المائدة 67.

(2) صحيح مسلم 6 /245.

والآداب الواجبة على الداعية حتى يكون ناجحاً فى درء الجهل عند الشباب .
إن مسئولية درء ظاهرة الجهل بالدين مسئولية عامة لا تقتصر على العلماء والخطباء والدعاة فحسب ، فمن مسئولية كل مسلم أن يكون داعياً إلى الله على بصيرة .
قال تعالى: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [1]

قال الإمام الشوكانى فى فتح القدير : " والبصيرة هى المعرفة التى يتميز بها الحق من الباطل ، وقال الفراء : والمعنى ومن اتبعنى يدعو إلى الله كما أدعو ، وفى هذا دليل على أن كل متبع لرسول الله ﷺ حق عليه أن يقتدى به فى الدعاء إلى الله والعمل بما شرعه لعباده "[2]
ومعنى الدعوة إلى الله على بصيرة : أن يكون الداعية إلى الله عالماً بما يدعو إليه وعالماً بحال المدعوين ، وإيصال ما يصلح لهم وينفعهم ، وعالماً أيضاً ب طريقة الدعوة إلى الله تعالى، مدللاً على كل ما يقول بالأدلة الشرعية من النصوص وما عليه سلف الأمة رضوان الله عليهم.
فإذا عرف الداعية إلى الله تعالى ما يدعو إليه ، فالواجب عليه قبل أن يباشر الدعوة إلى الله، ويخفض غمارها، ويدخل مساحتها: أن يتسلح بالعلم الشرعى، وهو ما أنزله الله على رسوله ﷺ من الكتاب والحكمة ومعرفة ما أراد الله من ذلك وفهمه على نحو ما فهمه الصحابة والتابعون وأبنائهم من أئمة الهدى والدين وذلك حتى يحقق شرط البصيرة فى الدعوة إلى الله تعالى، لأن نجاح الداعية فى القضاء على الجهل بالدين ونجاح الدعوة إلى الله تعالى مرهون بهذا العلم الموروث عن نبينا ﷺ ، والذى نقله إلينا نقلاً صحيحاً أصحابه رضوان الله عنهم أجمعين وهم الذين شاهدوا التتريل وعرفوا التأويل ، وكانوا أدرى الناس بأحوال النبى ﷺ ومراده، وكانوا معه فى ظعنه وإقامته وفى سلمه وفى حربه ، وقد " رضى الله عنهم " وأرضاهم فكانوا على الهدى المستقيم وليعلم الشباب أن منهج الدعوة إلى الله تعالى أمر توفيقى ، لأن الدعوة إلى عبادة من العبادات وقربة من القربات ، وهى ليست أرضاً مباحة لكل أحد يجتهد فيها وفق ذوقه ورأيه بل لابد فيها من التسليم والإتباع التام للنبى ﷺ وعلى الداعية أن يلتزم فى دعوته للشباب بالكتاب والسنة ولا يقول بغير علم ولا يقول برأيه وأن يحذر الحديث عن البدع والشبهات وألا يقول قولاً فى دين الله بغير دليل فقد ثبت عن العرباض بن سارية رضي الله عنه: " وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وزرفت منها الد موع ، قال : قلنا : يا رسول الله ، كان هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : أوصيكم بالسمع والطاعة ، فإنه من يعيش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدي ن المهديين من بعدى، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجز، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة "[1] .
وثبت عنه ﷺ أنه قال: " ما تركت شيئاً " مما أمركم الله به إلا قد أمرتكم به ، وما تركت شيئاً مما نهاكم عنه إلا وقد نهيتكم عنه " [2]، وقال ﷺ: " تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك " [3].
ومن منهج ا لدعوة أن يتوقف الداعية فى المسائل المشكلة التى لم يتبي ن وجه الصواب أو لم يحضره الدليل ، فلا شئ يعدل السلامة، فيسعه ما وسع غيره من أهل العلم ، بل الجهابذة من العلماء كانوا يتفقون فى المسائل التى لا يحصرها الدليل فيها ويقولون: لا تعلم .
وحتى يكون الداعي أهلاً لدرء الجهل بالدين يجب عليه أن يعتنى بمعرفة القواعد والضوابط العامة للدين ومقاصد الشريعة وأصولها وإن من أكثر المجالات التى يحتاج فيها الداعية إلى

---

(1) سورة يوسف /108.
(2) فتح القدير، الشوكانى 4 / 79 .
(1) أخرجه أبو داود 5 / 13 والترمذى 4 /408 وقال حديث حسن صحيح .
(2) سلسلة الأحاديث الصحيحة (1803) .
(3) أخرجه ابن ماجة 1 / 16 ، وأحمد فى المسند 4 /126 .

ضبط أصولها ومصطلحاتها هو المجال الفقهى ؛ ذلك لأن أكثر أحوال الناس وأعمالهم م نضبطة بالشرع من الناحية العملية، لما يترتب عليه من إصدار الفتاوى ، وأيضاً عليه ا لاهتمام بالمقاصد العامة للشريعة، وحكمها ، ومح اسنها؛ فإن الاهتمام بمقاصد الشريعة من أولى م ا ينبغى على الداعية الاهتمام به.

فإذا وفق الله الداعية إلى العلم الشرعى، ونال نصيباً وافراً منه ، فإن الواجب عليه أن يعرف كيفية أداء ذلك العلم والطري قة المناسبة التى يبلغ بها الدين ، وهذا لا يتم إلا بمعرفة أ صناف المدعوين، ولن ينج ح الداعية إذا لم يعرف من يدعوهم ، وأيضاً لن يوفق إذا لم يكن عنده دراية ومعرفة بوسائل وأساليب وطرق الدعوة إلى الله تعالى، فهذه هى الأدوات التى يستعملها الداعية إلى الله تعالى لكسب ال مدعوين، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[1] ويقول تعالى :﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[2]

وحتى يمكن للداعية التأثير فى الشباب وتعريفهم بدينهم لابد أن يراعى الحكمة فى دعوته، ومن الحكمة جعله يتفاعلون معه، ويستخدم الأسلوب المشوق الجذاب، كما أن من الحكمة كتمان بعض العلم الذى قد يُساء فهمه أو فقد يفتح باباً من التساهل وعدم المبالاة، فيقود الشباب إلى مالا يحسن عقباه، ولذلك فى حديث معاذ الذى بين فيه النبى ﷺ حق العباد على الله وحق الله على العباد وما لهم من الجزاء إن هم فلوا ذلك ، قال معاذ: أفلا أبشر الناش ؟ قال : لا فيتكلوا ، وقد كتب البخارى هذا الحديث فى باب أسماه: باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا[3] .

وقال على رضي الله عنه : حدثوا الناس بما عرفوا أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ [1] .

ومن حكمة الداعية أن يتحرى الوقت المناسب للدرس حتى لا يمل السامع خاصة فى زماننا الذى فترت فيه الهمم ، وضعفت العزائم ومات الطموح وحل الكسل والخمول .

ومن الحكمة استعمال أسلوب الترغيب والترهيب فقد يكون بعض المدعوين عنده ش ئ من الجفاء والإعراض والصدود مع معرفته بالحق وعلمه به ، والتأمل فى واقع شبابنا يجد أن هذا الصنف هو الغالب وذلك بسبب غلبة الشهوة على نفوسهم من شهوة البطن أو شهوة الفرج ، ولذلك تجد العصاة أكثر من المطيعين والمنحرفين أكثر من المستقيمين ، فهذا الصنف يستخدم معه أسلوب الترغيب والترهيب على حسب المقام والحال ، والترغيب فى الطاعات ، والتذكير بأيام الله وما جرى للظالمين والعصاة والفاسقين وتبين محاسن الحق حتى يتركوا ما ألفوه من الباطل ، فإن انتزاع ما ألفه الناس من باطل ليس بالأمر الهين ، ولذلك أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالعظة فقال تعالى : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾[2] ،

ومن الحكمة فى الدعوة التنويع فى الخطاب وألا يسير على واحدة سواء فى الوسيلة الواحدة أو فى الوسائل المتنوعة ولذلك أثر كبير يلمسه المشتغلون فى ميدان الدعوة .

---

(1) سورة النحل /125 .
(2) سورة البقرة /269 .
(3) صحيح البخاري 1 /225 .
(1) نفسه 1 /225 .
(2) سورة النساء / 63 .

وعلى الدعاة الذين يرسمون صورة الدين أمام الشباب أ ن يتحروا الرفق واللين مع المدعو ، وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة فى الأمر بلين القول ، قال تعالى " ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [1]، وقال تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [2] ، إلى غير ذلك من الآيات، وعن أنس بن مالك ﷺ ، قال " قال رسول الله ﷺ يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا " [3]، وعن عائشة " رضى الله عنها ، قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الرفق لا يكون فى شئ فلا زانه ، ولا ينزع من شئ إلا شانه " [4] .

وقد أورد الإمام السعدى فى تفسيره خلاصة نفيسة حريٌّ بكل داعية أن يقف عندها ، يقول السعدى : " إن البصيرة فى حال المدعوين تكون فى معاملة كل أحد على حسب حاله وفهمه وقبوله وانقياده ، ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل ، والبراءة بالأهم وبالرفق واللين ، فإن إنقاد بالحكمة ، فلا فينقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة ، وهو الأمر والنهى المقرون بالترغيب والترهيب ، إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعددها ، والنواهى من المضار وتعددها ، وما ذكر إكرام من قال بدين الله ، وإهانة من لم يقم به ، وأما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل ، فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق ، أو كان داعيه إلى الباطل فيُجادَل بالتى هى أحسن ، وهى الطرق التى تكون أدعى للإستجابة عقلاً ونقلاً ، ومن ذلك : الاحتياج عليه بالأدلة التى كان يعتقدها فإنه أقرب إلى حصول المقصود ، وإلا تؤدى المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها ولا تحصل الفائدة منها ، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق .

---

(1) سورة البقرة / 83 .
(2) طه / 44 .
(3) صحيح البخارى 1 / 163 .
(4) صحيح مسلم 4 / 259 .